

قال تعالى : ﴿إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين﴾.[سورة الأعراف–194]

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيآت أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وبعد:

العبادة :

أن العبادة لله هي الغاية التي خلقنا الله تعالى لأجلها كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾.[الذاريات: 56].وأرسل الرسل ليأمرونا بعبادة الله قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾.[النحل: 37].

والعبادة هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، والبراءة مما ينافي ذلك ويضاده.

وفي هذا يدخل جميع أنواع الطاعات القلبية والقولية وأعمال الجوارح . فمن صرف شيئا منها لغير الله عز وجل فقد أشرك مع الله . ومن أهم أنواع العبادة الصلاة والزكاة والصيام والحج والدعاء والخوف والرجاء والتوكل والنذر والذبح والحكم بما أنزل الله، والاستغاثة والاستعانة والاستجارة والاستعاذة والإنابة والرغبة والرهبة والركوع والسجود والطواف والحلف والخشية والخشوع وتلاوة القرآن والإحسان إلى الفقراء والمحتاجين، والصدق، والأمانة، والكلمة الطيبة وغير ذلك من أنواع العبادة ، وقد جاءت غالب سور القرآن، بل كلها تقرر هذا الأمر وتدعو إليه؛ فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم.

شروط قبول العبادة:

ولكي تكون العبادة صحيحة لابد لها من شرطين :

الأول: إخلاص الدين لله : وهو أن يكون العمل مرادا به وجه الله عز وجل قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ [البينة 5] .

الثاني : موافقة أمر الله الذي بعث به رسله : وهو أن لا يعبد الله إلا بما شرع فإنما أرسل رسله ليعبد سبحانه بما شرع على ألسنة رسله عليهم السلام. قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [النساء64] .

فلا تصح عبادة المسلم إلا إذا كانت وفق شرعه صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران 31] .

وقال جل وعلا: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر 7] إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على وجوب التزام السنة وتحريم البدعة، وقد سبق ذكرها عند الحديث على منهج السلف في تقرير العقيدة.

فهذان الشرطان هما معنى شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله. ولأهميتهما نبين شيئاً مما يتعلق بهما:

توحيد الله في العبادة هو معنى لا إله إلا الله .

قال تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ . [محمد: 19] . وهذا هو محل النزاع بين الرسل وأممهم كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ . [النحل: 36] .

وهذا هو التوحيد الواجب على كل الخلق، وهو مبني على أن الله واحد في ألهيته لا ند له، وواحد في ذاته وصفاته وأسمائه لا نظير له، وواحد في ملكه وأفعاله لا شريك معه، فلابد أن يعبد الله وحده لا يشرك معه غيره، والشرك في العبادة: هو أن يجعل معه إله آخر يتوجه إليه بنوع من أنواع العبادة .

ودل استقراء القرءان العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

قسم العلماء التوحيد إلى ثلاثة أقسام لكي يسهل فهمها ودراستها لعامة الناس .

الأول – توحيد الربوبية :

تعريف الربوبية في اللغة والاصطلاح :

تعريف الرب في اللغة : له معانٍ، يقتضي المالك، والمتصرف، والمدبر، والسيد، ولفظ الرب لا يطلق على الإله وحده، ولذلك قال جد النبي صلى الله عليه وسلم: أنا رب الإبل وللبيت رب يحميه، ولذلك يقال للإنسان: هذا فلان رب أسرة.

فيأخذ معنى التنشئة والنمو، ولذلك يقال: هذا يربي أسرة أي: ينميها، ويقال: هذا يربي غنماً وهذا يربي دجاجاً وهذا كذا، أي: يحرص على تنشئتها وتنميتها، والإحسان إليها وإطعامها وغير ذلك.

أما تعريفه في الاصطلاح: فهو إفراد الله بأفعاله لتشمل جميع أفعال الله تعالى: الخلق الرزق الإحياء الإماتة التدبير ومنهم من يعرفه فيقول: هو الإقرار والاعتراف بأن الله هو الخالق الرازق المدبر المصرف لهذا الكون وحده لا شريك له، بمعنى: أنه لا يشركه في أفعاله أحد أبداً، ومنها الإحياء لا يشركه فيها أحد، الإماتة لا يشركه فيه أحد، الرزق لا يشركه فيه أحد، التصريف في هذا الكون لا يشركه فيه أحد أبداً، فمن أوجد شريكاً مع الله في ربوبيته لم يكن موحداً لله تعالى.

وهذا النوع الأغلبية لم ينكروه ماعدا بعض الناس ،لان هذا النوع من التوحيد جبلت عليه فطر العقلاء حتى مشركين قريش لم ينكروا أن الله خالقهم ، قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [الزخرف: 87] ، وقال: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: 31] .

ومن بعض منكرين هذا النوع من التوحيد فرعون قال تعالى عنه : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: 23] تجاهل من عارف أنه عبد مربوب؛ بدليل قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ ﴾ [الإسراء : 102] ، وقوله: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: 14]وهذا النوع من التوحيد لا ينفع إلا بإخلاص العبادة لله، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾[يوسف: 106] ، والآيات الدالة على ذلك كثيرة جدا ،وأيضا الذين ينكرون هذا النوع الملحدين أصحاب نظرية التطور والنشوء لداروين .

ومن الذين جعلوا مع الله غيره في الربوبية كحال المجوس وكحال النصارى وكحال المعتزلة ، فالمجوس قالوا: بإلهين، إله الظلمة وإله النور، والنصارى قالوا: إن عيسى عليه السلام له حق التصرف في هذا الكون ، و المعتزلة قالوا: إن الإنسان يخلق فعله، والله ليس خالقاً لأفعال العباد، وهذا الكلام باطل لا شك فيه. ومن الذين أنكروا توحيد الربوبية: الدهريون الذين قالوا: { مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ } [الجاثية: 24] ولذلك قال قائلهم: (أرحام تدفع، وأرض تبلع) ما عندنا شيء، نساء تحمل وتقذف ثم الأرض تبتلعها وينتهي الإشكال، وهذا الكلام باطل لا شك فيه.

ومنهم كذلك النمرود بن كنعان الذي قال لإبراهيم عليه الصلاة والسلام: { أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ } [البقرة:258] فقال إبراهيم بعد هذا: { فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ } [البقرة:258] وهذا ممن أنكر توحيد الربوبية.

وفي عصرنا الحاضر يوجد الشيوعيون الملحدين ، ومن اللطائف أن الذين صعدوا القمر هم من روسيا وقالوا عندما نزلوا وقوبل معهم قالوا: علمنا أن هذا الكون له مدبر ولا يمكن أن يحدث صدفة، وبعده بأيام مباشرة قابلوا معهم فقالوا: صعدنا إلى الكون فما وجدنا إلهاً، خافوا أن يرجع الناس عن معتقد الشيوعية الإلحادية .

ومن اللطائف أن الذين يعيشون في المراكب الفضائية قالوا: إنهم يرجعون بروحانيات وبتأمل وفكر عجيب في عقولهم، لما يشاهدون من عجيب صنع الله تعالى في الكون، وهذا لا شك أنه من العجائب.

الثاني – توحيد الإلوهية :

تعريف توحيد الإلوهية

توحيد الإلوهية : إن الإلهية نسبة إلى الإله بمعنى: المعبود.

تعريف توحيد الإلوهية : هو إفراد الله بالعبادة من قول وعمل واعتقاد .

وتوحيد الإلوهية لا شك أنه التوحيد الذي بعثت به الرسل، وأنزلت من أجله الكتب، ومن أجله خلقت الجنة والنار، ومن أجله خلقت الخليقة كلها، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾.[الذاريات: 56]. وسبحان الله! هذا التوحيد هو الذي وقع النزاع فيه بين الأنبياء عليهم الصلاة

والسلام وبين أممهم، ونجد أنه ما من نبي إلا ويأتي إلى قومه فيقول لهم: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف: 59] ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف: 85] ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف:73] ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوت ﴾ [النحل:36].

والأقوام المشركة تستغرب توحيد الإلوهية قال تعالى عن لسانهم:﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: 5].

يعتبر توحيد الإلوهية أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، و أول واجب على المكلف، وآخر ما يخرج به الإنسان من الدنيا إلى غيره.

ذكرنا أن الأصل في البشرية هو توحيد الله، والله خلق آدم وذريته على التوحيد، ولذلك جاء في الحديث القدسي: (خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين) وأول شرك وقع في البشرية هو في إلوهية الله تعالى، ولذلك قوم نوح عبدوا القبور والتماثيل التي كانت لرجال صالحين، ومع ذلك وقع الانحراف فأُرسل نوح عليه الصلاة والسلام لأجل هذا.

وضد توحيد الإلوهية صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله تعالى، سواء كانت ذبحاً أو نذراً أو غيره، أو صرف العبودية كلها لغير الله تعالى، وهذا لا شك أنه أخطر شيء.

وضابط هذا النوع من التوحيد هو تحقيق معنى « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » وهي متركبة من نفي وإثبات، فمعنى النفي منها: خلع جميع أنواع المعبودات غير الله كائنة ما كانت في جميع أنواع العبادات كائنة ما كانت. ومعنى الإثبات منها: إفراد الله جل وعلا وحده بجميع أنواع العبادات بإخلاص، على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام. وأكثر آيات القرآن في هذا النوع من التوحيد، قال تعالى:﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء: 36].

ومن الآيات الدالة على هذا النوع من التوحيد قوله تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [محمد: 19] ،وقوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: 25]، وقوله: ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف: 45] ، وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [الأنبياء: 108]فقد أمر في هذه الآية الكريمة أن يقول: إنما أوحي إليه محصور في هذا النوع من التوحيد؛ لشمول كلمة « لَا إِلَهَ إِلَّا

اللَّهُ » لجميع ما جاء في الكتب؛ لأنها تقتضي طاعة الله بعبادته وحده. فيشمل ذلك جميع العقائد والأوامر والنواهي، وما يتبع ذلك من ثواب وعقاب، والآيات في هذا النوع من التوحيد كثيرة.

الثالث: توحيد الأسماء والصفات :

تعريف توحيد الأسماء والصفات :هو إثبات ما أثبت الله لنفسه، وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم، ونفي ما نفى الله عن نفسه، ونفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات والإقرار لله تعالى بمعانيها الصحيحة ودلالاتها واستشعار آثارها ومقتضياتها في الخلق.

وهو الإقرار والاعتراف بأن لله تعالى الأسماء الحسنى والصفات العلى التي لا يشركه فيها أحد.

وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه من صفات الكمال ونعوت الجلال، ويجب أن نؤمن بها من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل كما جاءت بالكتاب والسنة وهذا قول سلفنا الصالح .

قال عز وجل ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: 180].

وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه: 8] وكل اسم من أسماء الله فإنه يتضمن صفة من صفاته، فالعليم يدل على العلم، والحكيم يدل على الحكمة والسميع البصير يدلان على السمع والبصر، وهكذا كل اسم يدل على صفة من صفات الله تعالى.

وقد أخبر سبحانه أن له وجها فقال تعالى: ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: 27]

وأن له يدين قال تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: 64].

وأهل السنة والجماعة من السلف الصالح وأتباعهم يثبتون أسماء الله وصفاته كما وردت في الكتاب والسنة ، وما تدل عليه ألفاظها من المعاني، ولا يؤولونها عن ظاهرها، ولا يحرفون ألفاظها ودلالتها عن مواضعها، وينفون عنها مشابهة صفات المخلوقين، كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: 11].وقال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [القيامة: 36]لا يؤمر ولا ينهى، وقال في الآية الأخرى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾ [البقرة: 21]. أي: وحدوه فقد أمرهم بما خلقوا له وأرسل الرسل بذلك.

وقد أخبر أنه سبحانه غير محتاج إليهم، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، قال تعالى: ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴾ [الذاريات: 57].

المنهج في إثباته: يقوم المنهج الحق في باب الأسماء والصفات على الإيمان الكامل والتصديق الجازم بما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

–التحريف: هو التغيير وإمالة الشيء عن وجهه. وهو قسمان:

1 – تحريف لفظي. وذلك بالزيادة في الكلمة أو النقص أو تغيير حركة في الكلمة كتحريف كلمة استوى في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: 5] .إلى استولى وهو قول الاشاعرة وغيرهم من أهل الضلال .

2 – تحريف معنوي. وذلك بتفسير اللفظ على غير مراد الله ورسوله منه ،قال تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: 64].فسروا يداه بالقوة أو النعمة. فإن هذا تفسير باطل لا يدل عليه الشرع ولا اللغة. وسلفنا الصالح يثبتها مثلما ذكرها ربنا من غير تشبيه بأحد من خلقه ولا تعطيل ولا تحريف ولا تكييف .

–التعطيل: هو نفي صفات الله تعالى كمن زعم أن الله تعالى لا يتصف بصفة.

والفرق بين التحريف والتعطيل هو أن التحريف نفي المعنى الصحيح الذي دلت عليه النصوص واستبداله بمعنى آخر غير صحيح أما التعطيل فهو نفي المعنى الصحيح من غير استبدال له بمعنى آخر.

–التكييف: تعيين كيفية الصفة والهيئة التي تكون عليها كفعل بعض المنحرفين في هذا الباب الذين يكيفون صفات الله فيقولون كيفية يده: كذا وكذا، وكيفية استوائه على هيئة كذا وكذا. فإن هذا باطل إذ لا يعلم كيفية صفات الله إلا هو وحده وأما المخلوقون فإنهم يجهلون ذلك ويعجزون عن إدراكه.

–التمثيل: هو التشبيه كمن يقول لله سمع كسمعنا ووجه كوجوهنا تعالى الله عن ذلك.

وضد التوحيد الشرك بالله .

والشرك : هو صرف شيء من العبادة لغير الله تعالى من شجر أو حجر أو ملك أو نبي أو أي كائنا من كان، فمن دعا غير الله أو استغاث به أو رجاه أو ذبح أو نذر له أو سجد له أو صرف شيئا من العبادة لغير الله فقد أشرك الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، قال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾.[الأعراف، 194]

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (13) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (14) ﴾ [.فاطر13، 14]

فدل كلام الله عز وجل هنا على أن كل من دعا غيره فإنه لا يملك شيئا، حتى ما يكون على نواة التمر من القشرة الرقيقة، كما دل أيضا على أن ذلك الدعاء شرك، وذلك في قوله: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ [فاطر14] .وقال جل وعلا: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (5) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ (6) ﴾ [الأحقاف5، 6] . فجعل الله تعالى دعاء غيره عبادة للمدعو، وجعل ذلك كفرا.

والشرك الأكبر محبط للعمل من أصله، كما أنه يفسد الإيمان ولا يقبل الله معه صرفا ولا عدلا. قال تعالى: ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ [الزمر65] ، وقال جل وعلا بعد ذكره للعديد من الأنبياء عليهم السلام ﴿ ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾ [الأنعام88] .

وهو الذنب الذي لا يغفره الله لمن مات عليه.قال جل وعلا: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا﴾ [النساء116] .

وصاحبه مخلد في النار أبد الآباد. قال تعالى: ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾ [المائدة72] .

أنواع الشرك:

1- شرك العبادة: وهو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله: كالدعاء والنذر والذبح وغيرها من العبادات كما ذكرنا سابقا.

2-شرك المحبة: وهو أن يتخذ أندادا من دون الله يحبونهم كحب الله،كما قال الله تعالى:﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ﴾ [سورة البقرة: الآية 165].

3- شرك الهوى: وهو أن يقدم المرء هواه على طاعة الله، فإن كان هواه من الشرك والكفر فهذا شرك وكفر مخرج عن الملة، قال الله تعالى:﴿ أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا ﴾ [سورة الفرقان: الآية 43].فبالهوى يقع الإنسان في معصية الله من البدع والشرك؛ فصاحب الهوى لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه بمعنى انه يحلل ويحرم على هواه وليس بالإتباع .

4- شرك الطاعة: وذلك يكون بطاعة الإنسان في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله، فقد جعل الله ذلك شركا بقوله: ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾.[سورة الشورى: الآية 21]. وقال: ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾[سورة التوبة: الآية31]. جاء في تفسير هذه الآية أن عدي ابن حاتم قال: يا رسول الله لسنا نعبدهم. فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " ألم يكونوا يحلون لكم الحرام فتحلونه ويحرمون الحلال فتحرمونه" قال: بلى. قال: "تلك عبادتهم "(أخرجه الترمذي في تفسير القرآن: (248/8)، والبيهقي: (116/10).

5-شرك الأفعال: كلبس الحلقة والخيط ونحوهما وتعليق التمائم والحروز والطلاسم من أجل اتقاء العين أو اتقاء الجن أو المرض أو المصائب ونحو ذلك، فإن اعتقد أن هذه الأشياء تستقل في النفع والضر فقد صار شركا أكبر.

6-شرك الأقوال: وذلك كالحلف بغير الله للرموز التي تعبد من دون الله للتعظيم ،مثل أن يحلف بالأصنام أو الأوثان ،وان حلف ناسيا فكفارتها أن يقول لا إله إلا الله .

ولا يتم التوحيد إلا بالكفر بالطاغوت .

قال تعالى : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ [البقرة : 256]

والطاغوت :هو ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع.

فالمعبود كالأصنام والأوثان .

والمتبوع كالكهان والرهبان والأحبار والسحرة .

والمطاع كالحكام الذين لايحكمون بشرع الله ويحكمون بقوانين وضعية ويلزمون الناس بالتحاكم إليها .

وأخبر تعالى أنه بعث في كل طائفة وقرن وجيل من الناس رسولا منذ حدث الشرك في قوم نوح إلى أن ختمهم بمحمد – صلى الله عليه وسلم – يأمرهم: ﴿ أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ أي: وحدوا الله بالعبادة واتركوا وفارقوا عبادة ما سواه، ولهذا خلقت الخليقة وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وفي قوله تعالى: ﴿ اعبدوا الله ﴾ الإثبات، وقوله: ﴿ واجتنبوا الطاغوت ﴾ النفي وهذه طريقة القرآن يقرن النفي بالإثبات، فينفي ما سوى الله، ويثبت عبادة الله وحده، والنفي المحض ليس بتوحيد وكذلك الإثبات بدون النفي، فلا يكون التوحيد إلا متضمنا للنفي والإثبات، وهذا هو حقيقة التوحيد.

وفي الآية بيان عظم شأن التوحيد، فمن عبد الله ولم يكفر بالطاغوت فليس بموحد، وما أكثر الجهل بذلك في هذا الزمان فمن يعبد الله، وهو لا يعتقد بطلان الكفر بالطواغيت فهو غير موحد.

وأحد هذه الطواغيت بعصرنا هم الحكام المبدلين لشرع الله قال تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ [المائدة : 44].وحكام اليوم تركوا تحكيم شرع الله في بعض المسائل وأبدلوها بقوانين خارجة عن الشرع وصاروا يحكمون الناس بها في محاكمهم الكفرية ،فمن تحاكم إليهم بمحاكمهم صار مثلهم كافر .

وللإسلام أركان وهي خمسة :

جاء في الصحيحين عن ابن عمر، رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان ".

واجمع العلماء على أن من جحد شيئا من أركان الإسلام كفر .

وأركان الإيمان وهي ستة :

جاء في صحيح البخاري :عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما بارزا للناس، إذ أتاه رجل يمشي، فقال: يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، ولقائه، وتؤمن بالبعث الآخر» قال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: «الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان»، قال: يا رسول الله ما الإحسان؟ قال: «

الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، قال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: " ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها: إذا ولدت المرأة ربتها، فذاك من أشراطها، وإذا كان الحفاة العراة رءوس الناس، فذاك من أشراطها، في خمس لا يعلمهن إلا الله : ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام ﴾ ثم انصرف الرجل، فقال: « ردوا علي» فأخذوا ليردوا فلم يروا شيئا، فقال: «هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم».

أقسام الكفر الوارد في الكتاب والسنة على قسمين:

- –كفر أكبر.
- –كفر أصغر.

الكفر الأكبر ينقسم إلى خمسة أنواع:

يمكن تقسيم مواقف الناس الكفرية من الدين الحق إلى خمسة أنواع من الكفر:

- **– كفر التكذيب والجحود.** وذلك يعم كل من كذب الرسل في الباطن، وهو حقيقة المكذب.

﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته﴾ [الأنعام21] .

أما من كذب الرسل في الظاهر، وهو يعلم صدقهم في الباطن، فهذا هو الجاحد، وهذا حال كثير من المكذبين للرسل، خاصة ممن عاينوا آيات الأنبياء.قال تعالى عن فرعون وملائه: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا﴾ [النمل14] .وقال عن مشركي مكة: ﴿ فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ [الأنعام 33] .

- **– كفر الإباء والاستكبار.** وذلك بأن يعلم الحق ويعرفه، ويتكبر عن الانقياد والاذعان. وذلك مثل كفر إبليس: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر﴾ [البقرة34]
- **– كفر الشك:** الذي يناقض التصديق واليقين، ومن هذا الجنس كفر صاحب الجنة. قال تعالى: ﴿ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا ﴾ [الكهف 35] ، وقد جعل الله الريب، وهو الظن والشك من الكفر الموجب دخول النار. قال تعالى: ﴿ ألقيا في جهنم كل كفار عنيد، مناع

للخير معتد مريب﴾ [ق24، 25] ، ومنه قوله تعالى: ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب﴾ [سبأ54] .

– **كفر الإعراض** : وهو أن يعرض عن الحق فلا يسمعه ولايقبله. قال تعالى: ﴿ والذين كفروا عما أنذروا معرضون ﴾ [الأحقاف 3] وقال تعالى: ﴿ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون﴾ [السجدة22] .

– **كفر النفاق**: وهو أن يظهر الإيمان ويبطن الكفر. قال تعالى: ﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون، اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون، ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ﴾ [المنافقون 1 – 3] .

فهذه الأقسام الخمسة التي ينقسم إليها كفر الكفار من ناحية موقفهم من الشرع والدين الحق.

أما الكفر الأصغر :

فهو ما أطلق الشارع عليه اسم الكفر من الذنوب مما لا يتناقض مع أصل الدين الذي هو التوحيد.

وذلك مثل قوله عليه الصلاة والسلام: " سباب المسلم فسوق وقتاله كفر " (رواه البخاري ومسلم) وقوله عليه الصلاة والسلام: «أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن» قيل: أيكفرن بالله؟ قال: " يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئا، قالت: ما رأيت منك خيرا قط " (رواه البخاري ومسلم) وغير ذلك من الأحاديث.

فهذا الكفر الوارد في هذه النصوص ليس من الكفر الأكبر المخرج من الملة، لوجود أدلة أخرى تدل على عدم خروجه من الدين،وهي أن الله وصف المتقاتلين بالإيمان في قوله: ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾ [الحجرات 9] . فسماهم مؤمنين مع وجود الاقتتال، كما أنهم لو كانوا بتلك الذنوب كفارا لوجب قتلهم للردة، ولما لم يوجب ذلك تبين أن المراد بذلك ليس كفرا مخرجا من الملة.

وقد دلت الأدلة الشرعية على أن هذه الألفاظ الشرعية، وهي الكفر والظلم والنفاق والجاهلية تأتي على معنيين أكبر وأصغر. الأكبر مخرج من الملة وأما الأصغر فلا يخرج من الملة.

أما الظلم فيدل عليه ما رواه البخاري من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ [الأنعام 82] شق ذلك على أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا وهو يظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ليس بذلك، ألا تسمعون إلى قول لقمان لابنه : ﴿إن الشرك لظلم عظيم ﴾ " (البخاري ومسلم).

وحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان وإذا خصم فجر" (البخاري ومسلم).

وأما تسميته بالكفر فحديث أبي سعيد ألخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار تكفرن، قيل يكفرن بالله، قال يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر قالت ما رأيت منك خيرا قط" (أخرجه البخاري).

أما عن الجاهلية فيدل عليه ما رواه البخاري ومسلم: عن المعرور بن سويد، قال: لقيت أبا ذر بالربذة، وعليه حلة، وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك، فقال: إني ساببت رجلا فعيرته بأمه، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: « يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم»

أما كفر الناس من ناحية انتماءاتهم الدينية فكل من دان بدين غير الإسلام فهو كافر ويمكننا أن نقسمهم من ناحية مذاهبهم إلى ثلاثة أقسام:

- **مشركون:** وهم كل من عبد غير الله تعالى من الأصنام والأوثان وغيرها.
- **أصحاب ملة:** وهم كل من انتمى إلى ملة غير ملة الإسلام، كاليهودية والنصرانية أو المجوسية أو البوذية بعد بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
- **ملاحدة:** وهم كل من لم يؤمن بدين، وإنما يعتقد الإلحاد.

فهؤلاء كلهم كفار، والواجب تكفيرهم. وهذا من المعلوم المجمع عليه، لدلالة الآيات في ذلك وصراحتها. ومنها قوله تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ [آل عمران85] ، وقوله تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ [آل عمران19] .

نـواقض الإسلام:

ما سبق ذكره هو في الكفار الأصليين، أما من كان مسلما فإن إسلامه ينتقض بكل فعل أو اعتقاد أو قول أطلق الله تعالى أو رسوله عليه الصلاة والسلام على من صدر منه الكفر، مع أن حقيقة الفعل يناقض أصل الدين أو يضاده، أو يتضمن تكذيب الله تعالى أو تكذيب رسوله صلى الله عليه وسلم، أو الاستهزاء أو السب لله تعالى أو رسوله عليه الصلاة والسلام ونحو ذلك. وجل ذلك مجتمع في نواقض الإسلام العشرة التي ذكرها كثير من العلماء. وهي:

1 – الشرك بالله من فعله جاهلا أو جاحدا .

الشرك بالله ناقض من نواقض الإسلام، سواء كان شركا في الربوبية بادعاء أن أحدا يتصرف في الكون، أو ادعاء علم الغيب، وما إلى ذلك. أو شركا في الأسماء والصفات باعتقاد أن الله تعالى له مثيل أو شبيه، أو شركا في الإلوهية بصرف شيء من العبادة لغير الله. قال تعالى: ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ [الزمر65] .

2 – من جعل بينه وبين الله وسائط ليقربوه إلى الله زلفى.

وذلك بأن يجعل بينه وبين الله واسطة في الدعاء، أو الاستغاثة من ملك أو قبر ونحوه. فهذا شرك مخرج من الملة، لأنه من جنس شرك المشركين، كما قال تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ [الزمر3] .

3 – من لم يكفر الكافرين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم أو توقف في تكفيرهم .

هذا ناقض للإسلام، من ناحية أنه تكذيب لخبر الله فيهم، ورد لحكمه في كفرهم.

4 – من اعتقد أنه يجوز إن نضع قوانين نحكم بها من دون شرع الله أو مع شرع الله.

قال تعالى :﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا﴾ [النساء 60].

أخبر سبحانه أن من تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول فقد حكم الطاغوت وتحاكم إليه، والطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم ممن أعرض عن طاعة الله ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته، وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين من هذه الأمة وهم الصحابة ومن تبعهم وهذا ناقض للإسلام لاعتقاده نقص الشريعة، وكمال غيرها، والله تعالى يقول: ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني﴾ [الزمر 23] . وقال: ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون ﴾ [البقرة 138] .وقال: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾ [المائدة 50] .

5 – من أبغض شيئا مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ولو عمل به فقد كفر.

البغض لشرع الله ناقض للدين،لقول الله تعالى: ﴿ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ﴾ [سورة محمد 9] .والكره يتنافى مع المحبة المطلوبة شرعا لله ولدينه.

6 – من استهزأ بالله أو رسوله أو بشيء من دينه أو رموزه أو ثوابه أو عقابه.

الاستهزاء بالله أو رسوله كفر مخرج من الملة، كما قال تعالى: ﴿ قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ [التوبة55، 66]

وأشد منه من سب الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم أو دينه، فمن قال ذلك فهو كافر. قال تعالى: ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا﴾ [الأحزاب 57] .

7 – السحر.

السحر كفر مخرج من الملة، لقوله تعالى: ﴿ وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ [البقرة 102] .

8 – مظاهرة المشركين وموالاتهم أو الانتماء لأحزاب وتنظيمات أو جماعات .

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [المائدة 51] وقال تعالى: ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء﴾ [آل عمران 28] .

قال الطبري في معنى الموالاة هنا: لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهرا وأنصارا توالونهم وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلونهم على عوراتهم، فإنه من يفعل ذلك فليس من الله في شيء، يعني بذلك، فقد برىء الله منه بارتداده عن دينه، ودخوله في الكفر.

فالموالاة التامة المتضمنة للمحبة والتعظيم والنصرة، هي التي يكفر بها الإنسان. وأما الانتماء لأحزاب وتنظيمات أو جماعات فهذا أيضا من الردة لأنهم يعتقدون بان ذلك أفضل في دعوة الناس للخير وهذا اعتقادهم كفر فلا خير فيمن يدعوا الناس على غير منهج الكتاب والسنة وإجماع الصحابة الكرام .

9 – من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة النبي صلى الله عليه وسلم.

الرسول صلى الله عليه وسلم مبعوث لعموم البشر. قال تعالى: ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾ [سبأ 28] .

فمن اعتقد أن إنسانا يسعه الخروج عن الشريعة، أو أنه تسقط عنه التكاليف في وقت من الأوقات فهو كافر خارج من الإسلام. قال تعالى: ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ [آل عمران85] .

10 – الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به.

وذلك بأن يعرض عما يجب عليه ويفترض عليه أداؤه لله، فلا يهتم بذلك، ولا يعرفه ولا يتعلمه، فيعرض عن التوحيد وعن العبادات، فلا يعرف ذلك إعراضا، فذلك مخرج من الملة كما قال تعالى: ﴿ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون﴾ [السجدة22] .

فمن فعل شيئا من هذه الأمور جاهلا أو جاحدا فقد خرج من الإسلام .

ومن الأمور الشركية الكفرية بزمننا :

1–ما يقوم به الشيعة من عبادة القبور والأوثان من تقديم النذور لها والتبرك بها والطواف حولها والحلف والخوف الشديد من أن يضروه ، ويعتقدون أنها تقربهم إلى الله زلفى ،بل مايقومون به هو عين الشرك الأكبر .

2-والصوفية أيضا غلو غلوا شديدا في شخصية نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم حتى صاروا يستغيثون به من دون الله وأمور أخرى قاموا بها من أعمال الشرك .

3-أهل الكتاب من اليهود والنصارى اليوم فهم يعتقدون أن لله أبناء سبحان الله عما يقولون من الكذب على الله ،حاشا لله أن يكون له ولد أو زوجة أو احد يشاركه في اؤلوهيته وملكه .

حكم تارك الصلاة :

الصلاة أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين وقد ورد من الوعيد فيها والتأكيد عليها ما لم يرد في غيرها وقد توعد الله عز وجل غير المحافظين عليها بالعذاب الشديد.

وذلك في قوله عز وجل: ﴿ فويل للمصلين، الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ [الماعون 4، 5] ، وقال ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ﴾ [مريم 59] ، وسئل ابن مسعود عن هذه الآية: "ما إضاعتها؟ فقال: تأخيرها عن وقتها، فقالوا: ما كنا نظن ذلك إلا تركها، فقال: لو تركوها لكانوا كفارا".(انظر تفسير ابن جرير 66/16، وابن كثير 125/3)

وبهذا المعنى جاء في حديث عبادة الصامت أنه قال: أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " خمس صلوات افترضهن الله عز وجل، من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد إن شاء غفر له وإن شاء عذبه" (أخرجه أحمد 319/5، وأبو داود في كتاب الصلاة حديث رقم 325).

فإذا كان هذا فيمن تهاون بها وترك بعضها أو بعض واجباتها فكيف بمن تركها بالكلية، وقد وردت نصوص تدل على كفره،منها قول الله تعالى: ﴿ ما سلككم في سقر، قالوا لم نك من المصلين ﴾ [المدثر 42، 43] وقال تعالى: ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين﴾ [التوبة 11]

وقال صلى الله عليه وسلم: " إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة ".(أخرجه مسلم في الإيمان 88/1).

وحديث "العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر " (أخرجه أحمد 346/5، والترمذي في الإيمان حديث رقم 2621) .

كذلك ما روي عن عبد الله بن شقيق أنه قال: ما كانوا يقصد الصحابة يرون عملا تركه كفر إلا الصلاة".(أخرجه الترمذي في الإيمان حديث رقم 3622).
فهذا يدل على إجماع الصحابة على كفر تارك الصلاة.

افتراق الأمة إلى طوائف كلها في النار إلا واحدة منها :

عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، والذي نفسي بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة، واثنتان وسبعون في النار » قيل: يا رسول الله، ومن هي؟ قال: «الجماعة» . (المعجم الكبير للطبراني)

فقد ذكرت من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما أخبر به من تفرق هذه الأمة ومضاهاتها في تفرقها اليهود، والنصارى، والأمم السالفة ما في بعضه كفاية لأهل الحق والرعاية، أن الأمم الماضية من أهل الكتاب تفرقوا واختلفوا، وكفر بعضهم بعضا، ومثل ذلك فقد حل بهذه الأمة حتى قد كثرت فيهم الأهواء، وأصحاب الآراء، والمذاهب، وكل ذلك فقد رأيناه، وشاهدناه ونسأل مولانا الكريم أن يعصمنا منها، ويعيذنا مما حل بأهلها الذين استهوتهم الشياطين فأصبحوا حيارى، عن طريق الحق صادفين، وتأخذهم الأهواء، وقبيح الآراء حتى يصيروا في التفرق إلى ما لا يحصى .

عبادة الفرق الضالة لا يقبلها الله تعالى :

قال تعالى : ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [الفرقان–23].
وقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ [إبراهيم–18].

قال العلماء عنهم : "من عبد الله بالمحبة فقط فهو صوفي"، لأن الصوفية يزعمون أنهم يعبدون الله لأنهم يحبونه فقط، ويقولون: لا نعبده نخاف من ناره ولا نرجو جنته، وإنما نعبده لأننا نحبه. وهذا ضلال.
"ومن عبد الله بالرجاء فقط فهو مرجئ" لأن المرجئة يخرجون الأعمال عن مسمى الإيمان.
"ومن عبد الله بالخوف فقط فهو خارجي" لأن الخوارج يكفرون المؤمنين بالمعاصي.

فالمرجئة أخذوا جانب الرجاء فقط، والصوفية أخذوا جانب المحبة فقط، والخوارج أخذوا جانب الخوف فقط.

وأهل السنة والجماعة جمعوا بين الأمور الثلاثة –ولله الحمد–: المحبة مع الخوف والرجاء والذل والانقياد والطاعة، وبنوا على ذلك سائر أنواع التعبد والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

أحكام الديار ومتعلقاتها .

والأمة قد أجمعت سلفا وخلفا على وجود دار كفر ودار إسلام وجعلوا لها أحكام خاصة بكلتيهما ، إستنباطا من القرآن والسنة والواقع الذي كان قائماً ،وكتب الفقه لسلفنا لاتخلوا من ذكر الدارين وأحكامها .

والدليل على هذا التقسيم كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ [إبراهيم- 13]،. وقوله تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَاشُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ [الأعراف–88]،. وأيضاً قوله تعالى: ﴿ سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الأعراف–145].

ومن السنة وكما جاء في حديث ابن عباس الطويل في الرجم وفيه أن عبد الرحمن بن عوف قال لعمر بن الخطاب بمنى : (فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة ... الحديث) [رواه البخاري : 6830].

ومنها ما رواه النسائي بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر كانوا من المهاجرين، لأنهم هجروا المشركين، وكان من الأنصار مهاجرون، لأن المدينة كانت دار شرك، فجاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة. والأدلة في ذلك كثيرة.

أنواع الديار :

تنقسم الديار إلى قسمين : دار إسلام ودار كفر ..

دار الإسلام : هي كل دار غلب عليها المسلمون وعَلتها أحكام الإسلام وإن وجد بها كفار فهم يعتبرون أهل ذمة .

دار الكفر : هي كل دار غلب عليها الكفار وعَلتها أحكام الكفر وإن وجد بها مسلمون .

واليوم الديار كلها ديار كفر بسبب سيطرة الحكام الطواغيت عليها ،فتعتبر الشعوب جميعهم كفار إلا من ثبت إسلامه لنا .

-يقول ابن مفلح الحنبلى : (فكل دار غلب عليها أحكام المسلمين فدار الإسلام ، وإن غلب عليها أحكام الكفار فدار الكفر ، ولا دار لغيرهما). اهـ (الآداب الشرعية).

-وقال القاضي أبو يعلى : (وكل دار كانت الغلبة فيها لأحكام الكفر دون أحكام الإسلام؛ فهي دار كفر).

-وقال ابن حزم: (وإذا كان أهل الذمة في مدائنهم لا يمازجهم غيرهم فلا يسمى الساكن فيهم لإمارة عليهم أو لتجارة بينهم كافراً ولا مسيئاً، بل هم مسلم محسن، ودارهم دار إسلام لا دار شرك، لأن الدار إنما تنسب للغالب عليها والحاكم والمالك لها...).

-وقال الكاساني : (وجه قولهما إن قولنا دار الإسلام ودار الكفر إضافة دار إلى الإسلام وإلى الكفر ، وإنما تضاف الدار إلى الإسلام أو إلى الكفر لظهور الإسلام أو الكفر فيها ، كما تسمى الجنة دار السلام والنار دار البوار ، لوجود السلامة في الجنة والبوار في النار ، وظهور الإسلام والكفر بظهور أحكامهما ، فإذا ظهر أحكام الكفر في دار فقد صارت دار كفر فصحت الإضافة ، ولهذا صارت الدار دار الإسلام بظهور أحكام الإسلام فيها من غير شريطة أخرى ، فكذا تصير دار الكفر بظهور أحكام الكفر فيها والله أعلم) .

-قال ابن عابدين :(المراد بالدار الإقليم المختص بقهر مَلِكِ إسلام أو كفر...فليس المراد دار السكنى)

-قال علاء الدين الكاساني: إن كل دار مضافة إما إلى الإسلام وإما إلى الكفر وإنما تضاف الدار إلى الإسلام إذا طبقت فيها أحكامه وتضاف إلى الكفر إذا طبقت فيها أحكامه كما تقول الجنة دار السلام والنار دار البوار لوجود السلامة في الجنة والبوار في النار ولأن ظهور الإسلام أو الكفر بظهور أحكامهما.

-ابن قدامة الحنبلي :ومتى ارتد أهل بلد وجرت فيه أحكامهم صاروا دار حرب في اغتنام أموالهم وسبي ذراريهم الحادثين بعد الردة وعلى الإمام قتالهم فإن أبا بكر الصديق قاتل أهل الردة بجماعة الصحابة ولأن الله تعالى قد أمر بقتال الكفار في مواضع من كتابه وهؤلاء أحقهم بالقتال لأن تركهم ربما أغرى أمثالهم بالتشبه بهم والارتداد معهم فيكثر الضرر بهم وإذا قاتلهم قتل من قدر عليه ويتبع مدبرهم ويجهز على جريحهم وتغنم أموالهم .وبهذا قال الشافعي ايضا .

-وقالت المالكية:دار الإسلام هي ما تجري فيها أحكام المسلمين.
-قال أبي يوسف ومحمد :الدار إذا أظهروا أحكام الشرك فيها فقد صارت دارهم دار حرب لأن البقعة إنما تنسب إلينا أو إليهم باعتبار القوة والغلبة فكل موضع ظهر فيه حكم الشرك فالقوة في ذلك الموضع للمشركين فكانت دار حرب وكل موضع كان الظاهر فيه حكم الإسلام فالقوة فيه للمسلمين.
-وقال السرخسي – في شرحه لكتاب السير الكبير – :والدار تصير دار المسلمين بإجراء أحكام الإسلام.
-وقال الشيخ منصور البهوتي :وتجب الهجرة على من يعجز عن إظهار دينه بدار الحرب وهي ما يغلب فيها حكم الكفر.

وتنقسم دار الكفر إلى قسمين:
دار حرب:
وهى التي ليس بينها وبين دار الإسلام صلح أو هدنة، ولا يشترط قيام الحرب فعليا لصحة هذه التسمية، بل يكفي عدم وجود صلح كما ذكرنا، بما يعني أنه يجوز للمسلمين قتال أهل هذه الديار وقتما شاءوا، ومن هنا سميت دار حرب.
ومن أحكام دار الحرب: سبى ذراريهم، وتغنم أموالهم، ويجب الهجرة منها، سقوط وجوب المَحْرَم لسفر المرأة المهاجرة من دار الكفر، وإذا أسلم بعض عبيد الكفار وهاجروا صاروا أحراراً ويملكون ما خرجوا به من أموال أهل الحرب... وغيرها من الأحكام المعروفة التي لا يتسع المقام في الشروع فيها.
دار عهد:
وهى التي بينها وبين دار الإسلام موادعة وصلح وهدنة، وتسمى أيضاً دار كفر ولا تأخذ أحكام دار الكفر.

والحكام في زماننا مالوا وأمالوا الناس ، فشرعوا للناس من دون الله فقبلوا منهم وتحاكموا إلى قانونهم وتعلموه واحترموه ، بل وشاركوا في التشريع والقضاء والتنفيذ ، فاشترك الجميع في الكفر ولم ينفرد به الحكام ، فعم الكفر الناس جميعا حكاما ومحكومين ، وهذا الحال منذ مئات السنين ، ولا يخفى على

مبصرٍ فصدق فيهم قول الله (وأضل فرعون قومه وما هدى) وحكم الناس اليوم الكفر إلا من ثبت إسلامه لنا .

والتحذير من بعض أهم الطوائف الضالة وهم .

1–الصوفية :وهم طائفة تشرك بالله ويستغيثون بغير الله .

2–الشيعة بجميع أنواعهم :وهم أيضا طوائف تشرك بالله ويستغيثون بأهل البيت من دون الله .

3–المرجئة : وهم طائفة يعتقدون إن الأعمال خارجة عن الإيمان ،فعندهم إن الإنسان مهما يفعل الشرك والكفر يبقى مسلم مادام انه تلفظ بالشهادتين .

4–الجهمية :وهم طائفة يقولون بان كلام الله مخلوق ويخرجون صفات الله تعالى عن غير ما جاءت بالكتاب ،وهم ظهروا في زمن أواخر الدولة العباسية وقد كفرهم سلفنا الصالح .

5–الاشاعرة :وهم طائفة في باب الإيمان مرجئة جهمية، يقولون بأن الإيمان هو التصديق القلبي فقط ،ويأولون صفات الله تعالى ويعطلونها ويخرجوها عن معناها .

ويوجد كتاب يوضح كفر الطوائف الضالة كلها وهو كتاب الإبانة الكبرى لابن بطة .

وقد حذر سلفنا الصالح من هذه الطوائف الضالة فقالوا : لا تجالسوهم (يعني لاتجلسون في مجالسهم)، ولا تؤاكلوهم (يعني لاتاكلون من ذباءحهم)، ولا تصلوا معهم (يعني لا تصلون خلفهم)، ولا تصلوا عليهم (يعني إذا ماتوا لاتصلون عليهم)ولا تناكحهوهم (يعني لاتتزوجون من نساءهم ولا تزوجوهم نساءكم)".

والتحذير من بعض الشيوخ الضالين المشركين :

1–شيوخ الأزهر جميعهم لأنهم على عقيدة الاشاعرة ومنهم الشعراوي والقرضاوي وغيرهم وشيوخ القنوات الفضائية .

2–شيوخ الإرجاء وهم شيوخ الخليج ومنهم بن باز وبن عثيمين والألباني وجميعهم قد دخل بالإرجاء .

معلومات مهمة :

اجمع علماء الأمة جميعا بأن كتاب صحيح البخاري وصحيح مسلم اصح كتب رواة الحديث وإنها حجة بعد كتاب الله .

واهم علماء سلفنا الصالح الذين وقفوا بوجه الفرق الضالة هم الإمام احمد بن حنبل رحمه الله وشيوخه وأصحابه وتلاميذه والإمام البخاري وشيوخه وأصحابه وتلاميذه .ولهم كتب بينوا فيها زيغ الطوائف الضالة وانحرافها عن الشريعة .

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .